مجلة الحقيقة ISSN: 1112-4210
مجلد: 17 عدد: 01 السنة 2018 EISSN: 2588-2139

مفهوم الجودة الإعلامية في بيئة متحولة دراسة وصفية استطلاعية على عينة من الصحفيين التونسيين

تاريخ استلام المقال: 2018/02/28 تاريخ قبول المقال 2018/06/02

د. هالة بن علي برناط
benalihela@hotmail.fr
جامعة منوبة معهد الصحافة وعلوم الإخبار– تونس
جامعة الملك سعود : كلية الآداب / قسم الإعلام– المملكة العربية السعودية

ملخص

لطالما اقترن الإعلام بمبدأ حرية التعبير على اعتباره الركن الأساس للعمل الصحفي وتحقيق الديمقراطية، لكن التطورات التكنولوجية وانعكاساتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية طرحت اليوم نقاشا أكاديميا ومهنيا عميقا، فقد أصبح مفهوم جودة المضامين الإعلامية يكتسي أهمية تضاهي حرية التعبير التي لم تعد كافية اليوم لضمان محتوى إعلامي يلبي حاجات الجمهور واشباعاته وانتظاراته.

من هذه المنطلقات اخترنا أن نطرح في هذه الدراسة تمثلات الصحفيين التونسيين ومفهومهم لمبدأ الجودة في بيئة متغيرة وتأثير السياقات السياسية والاقتصادية على نوعية المضامين الإعلامية.

وتتأتى أهمية بحثنا من دور رسالة الإعلام في تشكيل اتجاهات المجتمع وقيمه ومعارفه إضافة إلى النقد الموجه اليوم قبل المختصين لبعض وسائل الإعلام نتيجة تدني مستوى مضامينها.

الكلمات المفتاحية أخلاقيات ; جودة الإعلام ; تكنولوجيات الإعلام ; الإعلام التونسي.

Résumé
Le débat sur le rôle des médias dans les démocraties est en train d'être profondément transformé. La qualité de l'information devient une question aussi importante que la liberté car les données publiées par les médias doivent être d'une qualité suffisante pour répondre aux besoins de la démocratie. Cette étude cherche à analyser l'interprétation des journalistes tunisiens de la notion de qualité dans un nouveau contexte politique et économique.
Mots clés:(Ethique et déontologie des médias ; qualité de l'information ; nouvelles technologies de l'information et de la communication ; médias tunisiens

المقدمة

تمر مجتمعاتنا اليوم بسياقات أنتجت تغيرا في مفهومنا للمعلومة حيث أصبحت مقترنة بالتنمية والسيطرة والنفوذ بعد أن كانت مرتبطة أساسا بالمستجدات والأحداث. وتَشكلت هذه المفاهيم المستحدثةنتيجة استخداماتنا للإعلام الرقمي الذي يملك هذه القدرة الفائقة على انتاج المعرفة وتبادلها بسرعة لم يشهدها التاريخ. ويعتبر بعض الباحثين أن هذه التكنولوجيات الحديثة ساعدت على التبشير بعالم جديد تغيرت فيه سلوكياتنا ومفاهيمنا للقيم شبهها الباحث عبد الله حيدري "بفوضى المفاهيم والمصطلحات المتزاحمة مع فيضان من التدني اللغوي أدى إلى تراجع مقاييس الجودة والإبداع"[1]. السياقات الجديدة في مجال الإعلام والاتصال أفرزت إذن قضايا معرفية عميقة مرتبطة بالمفاهيم الأساسية لهذه البيئة الجديدة التي تتسم بقوة تدفق فائقة للمعلومات. ففي ظل هذا الكم الهائل من المضامين تُطرح تساؤلات عدة أبرزها مسألة احترام الصحفيين للمبادئ العامة للعمل الصحفي وأخلاقيات المهنة وهي المعايير المرتبطة بدرجة كبيرة بقيمة المضامين الإعلامية التي يروجها الإعلام.

مشكلة الدراسة

أمام الحاجة للدور الأساسي الذي تضطلع به وسائل الإعلام في تعزيز الحريات الأساسية في تونس خاصة بعد انتفاضة 14 جانفي 2011 يجد الصحفي نفسه أمام عدة تحديات

[1] عبد الله حيدري، الإعلام الجديد : النظام والفوضى. (2010) https://www.academia.edu

خلال ممارسة عمله. وتكمن هذه التحديات أساسا في تطبيق أو احترام المعايير المهنية وشروط العمل الإعلامي في ظل التطورات التكنولوجية التي أفرزت مشهدا إعلاميا يتسم بمنافسة الجمهور للصحفيين، بعد أن فسحت تكنولوجيا الإعلام والاتصال المجال أمام المواطن ليحل محل الصحفي دون قيد أو شرط، في حين تتطلب الممارسة الإعلامية خصائص أخلاقية ومعرفية دقيقة

اخترنا أن يطرح بحثنا مسألة التزام الصحفيين التونسيين بواجباتهم تجاه الرأي العام ومدى احترامهم لأخلاقيات المهنة الصحفية. فإذا كانت طبيعة العمل الصحفي تتطلب رفع القيود السياسية والتشريعية فهي تقتضي في المقابل احترام الصحفيين لقيم مجتمعاتهم وأخلاقيات المهنة في إطار المسؤولية الاجتماعية لوسائل الإعلام التي لا يمكن التغافل عنها نظرا للدور الكبير الذي تلعبه في تشكيل اتجاهات الجمهور. وتتبع مشكلة الدراسة من مدى وعي الصحفيين التونسيين واحترامهم لهذه الواجبات تجاه جمهورهم. فما هو مفهوم الصحفيين التونسيين لجودة المضامين الإعلامية ؟ وما هي المعايير التي يعتمدونها لتحديد جودة المضامين الإعلامية وفائدتها بالنسبة إلى الجمهور؟

أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على واقع المهنة الصحفية في تونس ومدى التزام الصحفيين بالمبادئ الأخلاقية للعمل الصحفي ورصد إدراكهم ووعيهم بمختلف المتغيرات التي تؤثر على جودة المضامين الإعلامية في فترة حساسة تمر بها البلاد تحتاج فيها أكثر من أي وقت مضى إلى الإعلام لدعم عمليات الإصلاح والتغيير في مختلف المجالات نظرا للدور الذي يلعبه في تحقيق تطلعات الجماهير.

أهمية الدراسة

تتمثل أهمية هذا البحث في رصد رؤية الصحافيين لواجباتهم ومدى التزامهم بالمبادئ الأخلاقية وإلى أي مدى يعتبر الصحفي أن هذه المبادئ يمكن الاستفادة منها عند ممارسة العمل الصحفي وذلك لتعزيز تأسيس وتكريس مبدأ الأخلاقيات خلال الممارسة المهنية.

منهج الدراسة

سنعتمد في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي عن طريق المسح الاجتماعي لعينة غرضية تتكون من 40صحفيا من مختلف وسائل الإعلام ومن الذين مارسوا العمل

الصحفي قبل 2011 وبعده حتى يكونوا قادرين على مقاربة طبيعة هذه التأثيرات وهذه التحولات وذلك للتعرف على رأيهم في واقع تطبيق المعايير المهنية في وسائل الإعلام التونسية

أداة الدراسة

اعتمدت الدراسة أداة الاستبيان لجمع البيانات وقد وزعت الاستمارة على محورين أساسيين :

المحور الأول : مفهوم الصحفيين لمعايير الجودة في العمل الصحفي

المحور الثاني : العوامل المؤثرة على جودة العمل الصحفي

الصدق والثبات

الصدق : لقياس صدق استمارة الاستبيان، استخدمت الباحثة أسلوب الصدق الظاهري من خلال تحكيمها من قبل نخبة من مختصين في الإعلام وتم تعديل بعض الأسئلة بناءً على ملاحظاتهم وتوصياتهم.

الثبات : للتأكد من ثبات نتائج استمارة الاستبيان، اعتمدت الباحثة أسلوب إعادة الاختبار حيث تم إعادة توزيع الاستمارة على 4 صحفيين من أفراد العينة أي بواقع 10 % من العينة الأصلية وذلك بعد ثلاثة أسابيع من تطبيقها وبلغت قيمة معمل الثبات نسبة 95% وتعتبر نسبة عالية تدل على ثبات الاستمارة ودقتها.

حدود البحث

الحدود الموضوعية : مفهوم الصحفيين التونسيين لجودة المضامين الإعلامية التونسية في ظل السياقات والتغيرات الراهنة.

الحدود البشرية : وزعت الاستمارة على 50 صحفيا تونسيا لم نسترجع منها 10 فاقتصرت عينة البحث على 40 صحفيا تونسيا

الحدود الزمنية : تم تطبيق البحث في شهري ماي وجوان 2016

المرجعية النظرية للدراسة :

تعتمد الدراسة في بنائها النظري وصياغة فروضها على نظرية المسؤولية الاجتماعيةعلى اعتبار أن مبدأ أخلاقيات الصحافة يعتبر من الأسس التي قامت عليها إضافة إلى طرحها مسألة وظائف الإعلام في المجتمع وأهميتها. كماتندرج ضمن التيار البحثي القائم على سوسيولوجيا العمل الصحفي والاحترافية المهنية لأنها تعتبر مهمة في متابعة التغيرات في

بيئة العمل الصحفي. ويهتم هذا التيار بتحليل الصحافة كممارسة تحدث داخل سياقات وذلك لمعرفة هذه التغيرات والعوامل التي تشكل طبيعة المهنة الصحفية. واتجهت هذه الدراسات في السنوات الأخيرة في تناولها للإنتاج الإعلامي إلى الاهتمام بدراسة القيود التي تضعها المؤسسات الإعلامية على الصحفيين إضافة إلى القيود الخارجية التي تمثل عقبات مثيرة للاهتمام والدراسة. كما يتناول هذا التيار بالدرس الممارسات المهنية وكيفية إنتاج المضامين الإعلامية. وحاولت بعض الدراسات وضع نماذج للحرفية الصحفية إضافة إلى تحليل رؤية الصحفيين لأنفسهم ولأدوارهم ولمهنتهم وهو ما سنسعى للبحث فيه من خلال هذه الدراسة. وتكمن أهمية هذا التيار البحثي في التركيز على كيفية ممارسة الصحفيين لعملهم وبالتالي التعرف على مدى استجابتهم للتغيرات الحاصلة في مجالهم والسياقات التي تشكل طبيعة ممارساتهم المهنية ومخرجاتهم[1] . وحيث لا يمكن البحث في الممارسة الصحفية دون الأخذ بعين الاعتبار بالمعايير المهنية التي تنظم قطاع الإعلام، سنتطرق إلى أبرز المداخل النظرية لمبدأ أخلاقيات المهنة الصحفية.

1- المداخل النظرية لمبحث أخلاقيات المهنة الصحفية

تعددت الرؤى والمداخل النظرية في طرح موضوع أخلاقيات العمل الصحفي[2]. فهناك من اعتبر أنها نسبية أي أنها تختلف باختلاف الزمان والمكان وطرحها من زاوية الأخلاق باعتبارها ضوابط يحترمها مختلف أفراد المجتمع بما أنها تنبع من الضمير الإنساني للصحفي (Elliott). وهناك من عرفها بأنها مجموعة من المعايير والقيم المرتبطة بمهنة الصحافة التي يلتزم بها الصحفيون في عملية استقاء الأخبار ونشرها والتعليق عليها وفي طرحهم لآرائهم، وهو ما من شأنه أن يقوى إحساس الصحفي بمسؤوليته الاجتماعية.
وفي هذا الإطار رصد شافير (Shaver) ثلاثة مداخل لهذا المبحث :

[1] السيد بخيت، الجديد في بحوث الصحافة مدارس غربية وإسهامات عربية ، العين، الامارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي ، 2014 ، ص 89-90

[2] السيد بخيت ، أخلاقيات العمل الصحفي، العين، الامارات العربية المتحدة: دار الكتاب الجامعي، طبعة أولى ، 2011 ، ص 16

- المدخل المهني المعياري : الممارسات السائدة في صناعة الصحافة
- المدخل الفلسفي الاتصالي : يقوم على الدور الاجتماعي لوسائل الإعلام وترجع أصوله إلى المبادئ التي طرحها كل من جيفرسون وميلتون عن حرية الصحافة.
- المدخل الفلسفي الكلاسيكي : يركز أساسا على مبدأ الأخلاقيات الاجتماعية أكثر من التركيز على أخلاقيات وسائل الإعلام

وهناك من يرى أن البحث في هذا الموضوع يكون من زاوية نظر المسؤولية الاجتماعية وأن طرح مفهوم حرية الصحافة يكون في إطار من المسؤولية الاجتماعية معتبرين أن مواثيق الشرف أحد الأساليب الملائمة لتنظيم المهنة. ويذكر أن مفهوم أخلاقيات الصحافة يعتبر من الأسس التي قامت عليها نظرية المسؤولية الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1947 التي حددت التزامات الصحافة ووسائل الإعلام تجاه المجتمع التي يمكن تنفيذها من خلال الالتزام بالمعايير المهنية[1]. وفي هذا الإطار، أكد بعض الباحثين أهمية وضع معايير للمبادئ المهنية المتعلقة بالصدق والموضوعية والدقة والتوازن وضرورة التزام الصحفيين بها كمتطلب ضروري لمواجهة أية سلبيات تطرأ على ممارسة العمل الصحفي. كما يترتب على المواثيق التي تصيغها وسائل الإعلام نفسها التزام الصحفيين بما جاء فيها لهذا تُعتبر مقياس الالتزام بأخلاقيات المهنة الصحفية التي تكون عادة في علاقة بوظائف وسائل الإعلام ودورها في المجتمع.

ويذكر أن مسألة وظائف وسائل الإعلام حظيت باهتمام العديد من الباحثين في مجالات عدة من علم اجتماع وعلوم سياسية وعلوم إعلام واتصال وذلك نظرا لأهمية وظائفها في المجتمع وهو ما يفرض البحث والتعمق في نوعية مضامينها ومدى احترامها لهذا الدور الذي بعثت من أجلهومن ضمن هذه الوظائف نذكر مراقبة المجتمع والتعبئة والتنشئة الاجتماعية وتدعيم المعايير الاجتماعية ..

ويمكن تقسيم النظريات المتعلقة بوظائف الإعلام إلى توجهين رئيسيين، الأول يعطي لوسائل الإعلام دورا اجتماعيا فعالا على مستوى المراقبة (هارولد لاسويل، ويلبرشرام) والتنشئة الاجتماعية (ويلبرشرام، ليزلي مولر). أما التوجه الثاني فهو يقلص من أهمية الدور الاجتماعي الذي تلعبه وسائل الإعلام على اعتبارها وسائل هيمنة سياسية وتجارية وبالتالي

[1] محمد حسام الدين ، المسؤولية الاجتماعية للصحافة، القاهرة، الدار اللبنانية المصرية، 2003، ص 140

فاقدة للمصداقية (تشومسكي، ميشال فوكو، رواد النظريات النقدية، مجموعة مدرسة فرنكفورت) . لكن في تقديرنا يمكن اعتبار أن التوجهين يقران بأهمية الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في المجتمع وهو ما يفسر هذا السعي للهيمنة عليها وتوجيه مضامينها وفق التوجه الثاني. الإقرار بهذا الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام يمكن أن يجعل منها جديرة بلقب السلطة الرابعة الذي يقتضي وجود قوة مضادة ضد القوى السياسية والاقتصادية والثقافية المهيمنة، فهي تشكل قوة ضاغطة ومؤثرة.

لكن وحتى تلعب هذا الدور لابد أن يتوفر لديها حسا مدنيا وإرادة فردية وجماعية وذلك لضمان فاعلية مهمتها في فضح كل التجاوزات التي تقوم بها بقية السلطات الثلاث ومؤسسات المجتمع وأفراده من خلال ضبط السلوك ومراقبة تطبيق واحترام قوانين المجتمع وضوابطه الشيء الذي يجنب المجتمع من الوقوع في الانحرافات الخطيرة. إذ لا يكفي حسب الباحث عبد الله حيدري أن يتوفر شرط الفصل بين السلطات الثلاث ليتحقق بشكل آلي مشروع السلطة الرابعة[1].

كما تعتبر السلطة الرابعة من المنظور الفلسفي لهيجل مشروعا مدنيا يقوم على الوعي بالذات والاعتراف بالآخر. وبالتالي لا يمكن اعتباره سلطة إلزامية كبقية السلطات الثلاث وإنما سلطة أخلاقية تتولى مراقبة مدى احترام القانون في المجتمع بما معناه أن السلطة الرابعة هي سلطة تسيرها الأخلاق. ومن هذا المنظور تندرج السلطة الرابعة ضمن تيارات القيم الأخلاقية التي تسعى لتعديل ما يصيب النظام الاجتماعي من خلل واضطراب. وينعكس مدى التزام وسائل الإعلام بدورها كسلطة رابعة على نوعية مضامينها وجودتها وقيمتها بالنسبة إلى المجتمع. وهذا الطرح ستستند عليه دراستنا المتعلقة بجودة المضامين في وسائل الإعلام التونسية لأن جودة المضامين الإعلامية وقيمتها تكون عادة مقترنة بأخلاقيات المهنة الصحفية ومقياس احترام الصحفيين لدور وسائل الإعلام باعتبارها سلطة رابعة قادرة على مراقبة بقية السلطات ومؤسسات المجتمع.

2- مفهوم المعايير المهنية الصحفية

[1] عبد الله الزين الحيدري، الفضاء العمومي الجديد للسلطة الخامسة ، المجلة العربية للإعلام والاتصال، العدد الثاني عش، 2014، ص 115

اهتم العديد من الباحثين بمفهوم القيم أو المعايير المهنية في مجالات مختلفة حيث اعتبروا أنها تشكل أحد أهم مجالات القيم، فهي مجموعة مقاييس تحدد خيارات الفرد المهنية وسلوكه خلال ممارسة عمله. فممارسة المهنة تأتي في ضوء محددات أخلاقية وقيمية توجه الفرد واختياراته ووظائفه ...

ويرى بعض الباحثين أن مسألة دراسة أخلاقيات الصحافة تتقاطع مع تخصصات أخرى لعل أهمها قوانين وأخلاقيات المهن بصفة عامة على اعتبار أن كل مهنة تتقيد بأخلاقيات خاصة بها، بالإضافة إلى تخصص العلوم السياسية والقانونية من جهة وسوسيولوجيا التنظيمات والمهن من جهة أخرى. وفي هذا الإطار يعتبر الباحث جمال الزرن أن بحوث جون ماري شارون (Jean Marie Charon) وايريك نوفو (Eric Neveu) وبيار بورديو (Pierre Bourdieu) عن سوسيولوجيا المجال الصحفي إرثا معرفيا ضمن سياقات البحوث الاجتماعية والسياسية ومكانة الأخلاقيات في تشكل المجال الصحفي. كما يرى الباحث أن مختلف هذه الدراسات "أجمعت على أن مسألة الأخلاقيات تحولت إلى مفردة تتجاذبها رهانات اقتصاديات سوق الإعلام وكيف أصبح المجال الصحفي بين فكي كماشة المجال الاقتصادي من جهة والمجال السياسي من جهة أخرى لتركن الخلفية الثقافية والنخبوية للمهنة الصحفية على هامش ما هو صحفي"[1].

على هدي أي معيار إذن يمكن أن تُقاس مهنية الصحفي ومدى التزامه بمبدأ أخلاقيات المهنة. في مجال الإعلام تحدد المعايير المهنية أو هذه الضوابط في مواثيق صحفية تعتمدها المؤسسات الإعلامية حتى تنظم بها العمل الصحفي. لكن تختلف الرؤى المهنية لهذه المواثيق الصحفية باعتبار تداخلها مع عدة عوامل منها المحيط الخارجي (النظام السياسي، مصالح المعلنين ..) ومنها الداخلي (طبيعة النظام الإعلامي السائد، التقاليد الإعلامية غير المكتوبة، رؤية المساهمين وأصحاب المؤسسات الإعلامية..)وبالتالي يصعب تحديد معايير نقيس بها قيمة المضامين الصحفية ونوعيتها بما أن العمل الصحفي يقوم أو يطغى عليه الجانب الإبداعي أو الابتكار في البحث على المواضيع أو في انجاز المواضيع.

[1] جمال الزرن، من جمعية إلى نقابة : أخلاقيات المهنة الصحفية في تونس، (ملتقى الدولي : أخلاقيات الممارسة الصحفية في عالم عربي متحول: تونس 23-24 أفريل 2009) جامعة منوبة، معهد الصحافة وعلوم الإخبار، تونس

كما يطغى في بعض الأحيان المنظور الشخصي للعمل الصحفي على التصورات العلمية لهذه المقاييس

وفي هذا الإطار يعتبر الباحث الأمريكي ليو بوجار (Léo Bogart)"أن الصحافة كغيرها من الأشكال الفنية للتعبير الإنساني لا يمكن تقييمها بمعايير قابلة للجدل أو غير قابلة للتغيير"[1] لأن هناك رؤية مختلفة أو تصور مختلف للأخبار القيمة والمفيدة لكل من الصحفي والمتلقي وحتى مالك وسيلة الإعلام.ويستطرد بوجار أن هذا لا يعني أنه غير متاح لنا أن نلاحظ أو نحلل مضامين وسائل الإعلام "لكن علينا أن نقر أن هذا الاختلاف في وجهات النظر يجعل من الصعب الوصول إلى إجماع حول معايير بعينها لتقييم هذه المضامين".

وكشفت الدراسة التي أجراها الباحثون (Gardner, Csikszentmihalyi et Damon)[2] وقارنوا فيها مفهوم التميز في مجال الصحافة مع مهن أخرى، أنه على عكس بقية المهن، تطغى على المجال الصحفي توترات سببها الرؤى أو التصورات المختلفة التي يحملها كل طرف وهو ما فسره الباحثون بضعف مبدأ الإجماع في معايير العمل الصحفي. وتوصلوا إلى هذه النتائج بعد استطلاع رأي الصحفيين والمتلقيين والباحثين وأصحاب المؤسسات الإعلامية حول مفهوم التميز في المجال الصحفي مقارنة ببقية المجالات.

كما ربط بعض الباحثين مفهوم الأخلاقيات بالواجب المهني بما أن عبارة واجب تحمل إشارة واضحة إلى التزام أو واجب طرف ما لطرف آخروبالتالي يجب أن يكون هناك وعي بهذا الواجب والتزام به والقدرة على القيام به. وقد برر الباحثون هذا الرأي بقانون الأخلاق عند كانط الذي جعل الواجب مرافقا رئيسيا لقانون الأخلاق[3]

وعرف الرمحينواجب الصحفي على أنه "التصورات عن الالتزامات أمام المجتمع التي يأخذهاالصحفيون على عاتقهم وبإرادتهم بعد إدراكهم مكان ودور مهنتهم في الحياة

[1]Léo, Bogart, Reflections on content quality in newspapers :NewspaperResearch Journal, 2004, Vol. 25, no 1 , p 44.

[2]Judith Dubois, Bouleversements médiatiques et qualité de l'information : enquêtes auprès de 121 professionnels de l'information québécois. Etudes de communication publique, 20,Québec, Département d'information et de communication, université Laval, 2016, 14-15.

[3]عطا الله الرمحين، أخلاق الصحفي المهنية، عمان : مؤسسة الرواق للنشر والتوزيع، 2012، طبعة أولى، ص 123

الاجتماعية"[1]، ومضمون الواجب المهني هو نتيجة لإدراك مجموعة العمل الصحفية لأهداف العمل الصحفي وخصائصه لذلك يعتبر الرمحين أن للواجب المهني الصحفي جانبان واحد موضوعي وآخر ذاتي .الجانب الموضوعي تحدده الالتزامات الموجودة لدى المؤسسة الإعلامية أو ممثلي المهنة في المجتمع. أما الجانب الذاتي فيكون مرتبطا بالبدايات الشخصية للمهنة أي بالتكوين الذي تلقاه الصحفي وتجاربه الأولى في المهنة.

ويرى باحثون آخرون أن أخلاقيات المهنة الصحفية تضبط بمعايير تكون قانونية وأخلاقية في الوقت نفسه. والمقصود بالضوابط الأخلاقية هو ضمير الصحفي معتبرين أن الضوابط الأخلاقية أكثر فاعلية من الضوابط القانونية لأنها تثبت مدى احترام الصحفيين ووسائل الإعلام على حد السواء للقيم الإعلامية.تشترك أغلب الدراسات في طرحها للجانب الذاتي للصحفي أي ضميره عند تناولها لمبحث أخلاقيات المهنة الصحفية وهو من الأسباب التي أدت حسب بوجار إلى صعوبة وجود معايير متفق عليها يمكن أن نقيم من خلالها المضامين الإعلامية. وبالتالي تطرح بعض الإشكاليات نتيجة بعض الاختلافات على مستوى الفروق بين الأخلاق الإعلامية التي تنبع من الضمير الإنساني للصحفي وأخلاقيات الإعلام التي تقوم على قواعد وضوابط مهنية مسلم بها في أغلب المجتمعات لكنها تختلف من بلد إلى آخر تبعا للظروف السياسية والاقتصادية وطبيعة النظام الإعلامي وتبعا للتطور التاريخي والمستوى الثقافي والفكري. لكن في هذا الإطار يمكننا أن نعتبر أن مواثيق الأخلاقيات الصحفية تعتبر ضوابط يقبل بها المجتمع لتحفظ توازنا بين الإعلام والرأي العام ومختلف الأطراف المتداخلة في العملية الإعلامية لهذا نجدها تشملالمعايير التي يجب أن تتوفر في العملية الإعلامية سواءً على مستوى المرسل أو الوسيلة أو الإعلانات. وقد بوبت أغلب المواثيق هذه الضوابط إلىثلاثة أجزاء : حقوق الصحفيين، واجبات الصحفيين، حماية الصحفيين. هذا الطرح نجده أيضا عند الباحث الفرنسي جون بيراتران لكنه عبر عنه بالعناصر الأساسية لقواعد العمل الصحفي والتي تتوزع إلى ثلاثة أجزاء : القيمة الأساسية والمحظورات الأساسية والمبادئ الصحفية.أما مجالس ومواثيق الشرف الإعلامي في العالم فقد صنفت أخلاقيات العمل الصحفي إلى ستة محاور أساسية يمكن أن نلخصها في النقاط

[1] المرجع السابق، ص 125

التالية[1] : القواعد الأخلاقية لترشيد وتوجيه العمل الصحفي للصحفيين، قواعد السلوك، التضارب بين أهمية الأخبار ومعايير المجتمع، قبول الصحفي للهدايا، أخلاقيات الصحافة والأمن القومي، تحيز الصحفي وأخلاقيات المهنة.

وعلى ضوء هذا التصنيف اقترح بعض الباحثين معايير أخرى أكثر دقة مرتبطة بطريقة تعامل الصحفي مع مصادر المعلومات أو في نقل المعلومات ونشرها أو في علاقته بالانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي. هذه التصوراتتؤكد عدم التوصل إلى إجماع تام حول ضوابط أخلاقيات العمل الصحفي. في حين اعتبرت الباحثة الكندية جوديت دوبوا(Judith Dubois)[2] أن المعايير التي أشار إليها الباحثان الكنديان كوفاك وروزستيال (Kovach et Rosenstiel) في دراسة لهما أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية، بداية توافق أو إجماع علمي حولها. ويذكر أن هذه الدراسة استطلعت رأي ثلاثة آلاف متلقي موزعين على 21 مجموعة أو حلقة نقاش وثلاثة مائة صحفي أمريكي حول موضوع "الغاية أو الهدف من الإعلام والشروط التي تتوفر في الإعلام الحر والنزيه". وتوصلت إلى تحديد تسعة معايير اشترطها المستجوبون في العمل الصحفي النزيه[3] وهي :

البحث عن الحقيقة ؛ ولاء الصحافة الأول يكون تجاه المواطن؛ التثبت من المعلومة؛ ضرورة الالتزام بالموضوعية ؛ مراقبة السلطة؛ توفر مساحة أو فضاء للنقاش الاجتماعي وخلق فرص الوفاق الاجتماعي ؛ العمق في تناول الأحداث ؛ الوضوح في صياغة وإنتاج المضامين الصحفية ؛ الضوابط الأخلاقية الذاتية للصحفي أي ضمير الصحفي.

الإشكاليات المطروحة في مبحث أخلاقيات العمل الصحفي لا تقتصر على تعدد الرؤى وتعدد أنواع المواثيق، فقد أثار السيد بخيت[4]قضية استقلالية بعض المواثيق ومدى تحررها من الضغوط وتجاوبها مع الأهداف الرئيسية للمهنة باعتبار تدخل بعض الجهات غير الصحفية في صياغتها. كما لا يمكن أن نتغافل عن الضغوطات التي يتعرض لها الصحفي وهي لا تقتصر على الحكومات بل تشمل في بعض الأحيان أصحاب المؤسسات الإعلامية

[1] بسام عبد الرحمان المشاقبة، أخلاقيات العمل الإعلامي، دار أسامة، 2012، ص 126

[2] Judith Dubois, op. cit., p 10.

[3] Kovach, B.&Rosentiel T., The elements of Journalism : what newspapers should know and the public should expect. New York : Three Rivers Press, 2001, p 12

[4] السيد بخيت ، أخلاقيات العمل الصحفي، مرجع سابق، ص 17

ومصالح المساهمين والمعلنين.وقد خلص Mcmanus في دراسة له إلى تآكل استقلالية الصحفي بفعل التوجه التجاري للمؤسسات الإعلامية ومن هنا تثار عدة تساؤلات حول مدى احترام الصحفيين للمقاييس التي تطرحها هذه المواثيق أي إن تكتفي بعض هذه المواثيق برفع شعارات غير قابلة للتطبيق على أرض الواقع نظرا لهذه التضييقات السياسية والتجارية. وتتمثل أبرز هذه المعيقات في الضغوطات أو الإغراءات المادية التي قد تحد من حرية الصحافة وتؤدي إلى انحراف العمل الصحفي عن أهدافه وهي خدمة الرأي العام والمجتمع.

فالفجوة بين النظرية والتطبيق يعتبرها بعض الباحثين واقعا مطروحا اليوم جعل من هذه المواثيق مجرد معايير مثالية للأخلاق تساعد الجيل الجديد من الإعلاميين على التعرف على بعض الأخلاقيات والضوابط المهنية وبرروا هذه الفكرة بافتقاد هذه المواثيق لآليات التنفيذ وبالتالي غياب الطابع العملي أو جانب الممارسة. وفي هذا الصدد يرى هاريس أن معظم المواثيق الموجودة تعرض قائمة بكل أنواع الممارسات التي يجب تجنبها لكنها نادرا ما تؤلف لممارسة جيدة أو توضح كيفية تحقيقها[1]. على الرغم من الانتقادات الموجهة للمواثيق يمكن اعتبارها وسيلة من الوسائل التي تحدد المعايير والأخلاقيات المهنية التي على وسائل الإعلام والإعلاميين الالتزام بها عند ممارسة المهنة الصحفية.

يطرح بحثنا مشكلة مفهوم الصحفيين لجودة المضامين الإعلامية في ظل السياقات السياسية والاقتصادية والتحولات التكنولوجية. ونظرا لصعوبة تحديد معنى الجودة في العمل الصحفي حسب الباحثين وغياب إجماع حول المصطلح إضافة إلى الاختلافات في رؤية المؤسسات الإعلامية لمواثيق الشرف رأينا أنه من الأنسب اقتراح بعض المعايير على الصحفيين في الاستبيان مع فسح المجال لهم لاقتراح معايير أخرى تلخص نظرتهم لهذه المقاييس في علاقتها بالممارسة وجودة المضامين. وقد استندنا على التعريفات والمعايير التي قدمها المختصون عند اقتراحنالهذه المقاييس التي ستشكل محور دراستنا وهي :

- الموضوعية والصدق
- أهمية الموضوع (في علاقته بالقيم الخبرية واهتمام الجمهور ومصلحته ..)
- العمق في تناول الموضوع (الإلمام بمختلف زوايا الموضوع وتوضيحها وتفسيرها ..)

[1] السيد بخيت ، أخلاقيات العمل الصحفي، مرجع سابق، ص 17

- قيمة المضامين (في علاقتها بالتثبت من المعلومة والمجهود الاستقصائي الذي يبذله الصحفي..)
- نوعية الكتابة (الأسلوب، اللغة، البناء، المنهجية، احترام الشكل الصحفي، الدقة ..)
- التركيز على قيمة الجدة والسبق الصحفي

3- واقع الإعلام في تونس

لقد ركز المختصون في القطاع في عملهم على إصلاح الإعلام التونسي غداة الإطاحة بنظام بن علي سنة 2011 على الجانب القانوني بالأساس حيث ركّزت هذه الإصلاحات على إلغاء السمات القمعية للقوانين التي تسير مجال الإعلام، كما أوجدت رؤية جديدة لصناعة مستقلة ومهنية مستوحاة من نماذج وتجارب انتقالية عالمية أخرى. فتم إقرار مرسومين (115 و116) ينظمان قطاع الإعلام حيث يركز المرسوم 115 على حرية الصحافة والطباعة والنشر وينص المرسوم 116 على إحداث الهيئة العليا المستقلة للإعلام السمعي البصري وهي هيئة دستورية تعديلية تعنى بالمشهد الإعلامي السمعي والبصري وتنظيمه كما تسعى إلى نشر ثقافة تعديلية لإرساء استقلالية وسائل الإعلام السمعية والبصرية تسمح بخلق طريقة جديدة في حوكمة الإعلام وتعزيز حرية التعبير. كما ينص القانون الأساسي للهيئة على المهام الموكولة إليها حيث تتولى "تعديل الإعلام السّمعي والبصري بما يضمن حريّة الصحافة وتعددية وسائلها في كنف احترام قواعد وأخلاقيات المهنة وتأصيل قيم التعددية الإعلامية واستقلالية الصحافيين وضمان مادة إعلاميّة عالية الجودة"، و تعتبر هذه المهمة ضرورية لدعم دور وسائل الإعلام كفضاء للتحاور الديمقراطي .أما قطاع الصحافة المكتوبة والصحافة الالكترونية فقد تم تنظيمه أساسا ضمن آلية التعديل الذاتي وذلك اعتمادا على التجارب الديمقراطية العالمية حيث أحدث مجلس الصحافة وهو هيئة تعديل تشرف على تنظيم العمل بهذه الآلية. وفي هذا الصدد يرى بعض المختصين أن إحداث مجلس صحافة أمر ضروري و لكنه غير كاف مشددين على أهمية العمل على أمرين أساسيين وهما التعديل الداخلي في المؤسسات الإعلامية والعمل على تطوير ممارسة "المسؤولية الاجتماعية لوسائل الإعلام" لمعاضدة التزام المهنة بالميثاق

الأخلاقي الذي يعده مجلس الصحافة معتبرين أنه من الضروري أن يكون هذا الميثاق جامعا للصحفيين كلهم أنّى كان موقعهم.

كما يواجه قطاع الإعلام في تونس عدة صعوبات أخرى بفعل التداخل الذي أصبح قائما بين المكتوب والمسموع والمرئي هذا التداخل أنشأ نوعا جديدا من المضامين أي المضامين المندمجة الشيء الذي يتطلب التفكير في منوال اقتصادي مناسب لأن المنوال الاقتصادي الحالي الخاص بالمكتوب والقائم على المبيعات والإشهار أو الإعلانات لم يعد مجديا بالنظر إلى ضعف سوق الإعلانات وتقلص المبيعات. كما تقتضي هذه التغيرات التي تمر بها وسائل الإعلام العمل على معالجة إعلامية تختلف عن السائد لأن طبيعة الجمهور واستخداماته تشهد تحولات عميقة نظرا للتطورات التكنولوجية.

لكن على الرغم من هذه الإصلاحات وهذه التغييرات الجذرية التي شهدها الإعلام التونسي منذ انتفاضة جانفي 2011، إذ تحرر من قيود النظام الحاكم وأصبح بإمكانه إنتاج مضامين متنوّعة، إلا أن بعض الباحثين يرون أن الوضع أو المرحلة الانتقالية التي تمر بها البلاد في بناء الديمقراطية زجّ به في حقبة من التشويش والضياع حول كيفية ترجمة حريته الجديدة. واليوم وبعد مرور ما يزيد على الست سنوات على الانتفاضة، لاتزال الصحافة التونسية منتوجا قيد التحوّل لم يكتمل بعد. فعلى الرغم من توفر كل المتطلبات التي تسمح ببروز مشهد إعلامي حرّ وغير منحاز، إلا أنه يعاب على الإعلام التونسي التحيز السياسي والإديولوجي.

لكن هذه الإصلاحات الحديثة لا يمكن أن تلغي مرجعيات أخرى استند عليها المجال الصحفي منذ بدايته في تأصيل ممارسة مهنية تستند على الأخلاقيات وتحترمها. حيث جاء أول قانون منظم للصحافة في تونس خلال عهد الاستعمار (قانون 14 أكتوبر 1884) أي بعد قرابة 24 سنة من نشأة أول صحيفة تونسية (الرائد التونسي) ومطبعتها الرسمية بتاريخ 22 جويلية 1860. وقد جاء هذا القانون لتنظيم وتقنين مهنة الصحافة علما أنه استوحى معظم فصوله من القانون الفرنسي. كما لا يمكننا أن نتغافل عند طرحنا للجذور التاريخية لبدايات الصحافة وعلاقتها بالأخلاقيات على البعد الوطني والنضالي الذي طغى على مضامين أغلب الصحف التونسية خلال تلك المرحلة التي اتسمت بمقاومة المستعمر والدفاع على الهوية العربية والإسلامية للمجتمع التونسي. أما بعد الاستقلال لعب الإعلام دورا مهما

في الحياة السياسية حيث مثل وسيلة ارتكز عليها النظام لبناء الدولة ومؤسساتها ونموذجها الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

لكن ما ساعد على تشكل المهنة الصحفية في تونس[1] "هو سعي المهنيين المتواصل للتنظم من خلال بعث جمعية الصحفيين ونقابة الصحفيين التي لم تكتفي بالدفاع على حقوق الصحفيين بل تعمل على تطوير آليات تفعيل احترام أخلاقيات المهنة التي أسس لها أول دستور تونسي تم إقراره بعد الاستقلال إضافة إلى مجلة الصحافة".

التي صدرت لأول مرة سنة 1985. ويذكر أن هذه المجلة التي تم التخلي عنها مباشرة بعد 14 جانفي 2011 نصت في عدة فصول منها على أخلاقيات المهنة. مبدأ الأخلاقيات لا يمكن اعتباره إذن طرحا جديدا بالنسبة لوسائل الإعلام التونسية فالإضافة إلى القوانين التي سعت لتنظيم القطاع وتأسيس هذا المبدأ، أولت نقابة الصحفيين التونسيين بدورها أهمية لمسألة الأخلاقيات حيث ينص قانونها الأساسي على ضمان احترام ميثاق شرفها وعلى التصدي للمخالفين لهذا الفصل من خلال سحب العضوية لكل من يرتكب أخطاءً فادحة تنال من شرف المهنة إضافة إلى بعث لجنة قارة داخل النقابة تعنى بمسألة أخلاقيات المهنة. وبالتالي ما يمكن أن نستنتجه هو أن المجال الصحفي التونسي سعى لتأصيل أخلاقيات المهنة الصحفية منذ نشأتها من خلال القوانين العامة أو الخاصة بالهيئات وكذلك المراقبة على احترامها وتتأتى هذه الأهمية خاصة في المرتبة التي أولتها النقابة لهذا المبدأ على اعتباره أحد الثوابت وأحد الشروط للقبول بعضوية الصحفيين. لكن رغم هذه القوانين لا تزال المسألة موضوع نقاش إذ يعيب المختصون في المجال على عدة وسائل إعلام تردي نوعية مضامينها وعدم احترامها لأخلاقيات المهنة وهو ما يعد من الدوافع التي جعلتنا نختار دراسة هذا المبحث.

4- جودة المضامين الإعلامية في وسائل الإعلام التونسية

سيطرق بحثنا إلى دراسة مفهوم الصحفيين التونسيين في جودة المضامين الإعلامية في ظل السياقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية إضافة إلى التغيرات التكنولوجية. ويتوزع إلى محورين أساسيين :

المحور الأول : مفهوم الصحفيين لمعايير الجودة في العمل الصحفي

[1] جمال الزرن، من جمعية إلى نقابة : أخلاقيات المهنة الصحفية في تونس، مرجع سابق

المحور الثاني :العوامل المؤثرة على جودة العمل الصحفي

1- <u>المحور الأول : مفهوم الصحفيين لمعايير الجودة في العمل الصحفي</u>

سنحاول في هذا المحور دراسة رأي الصحفيين ومدى وعيهم وفهمهم لمعايير الجودة المرتبطة بمهنة الصحافة وتقييمهم لنوعية مضامين وسائل الإعلام التونسية.

1-1- <u>أهمية معايير الجودة حسب عينة الدراسة</u>

اقترحنا على الصحفيين المستجوبين مجموعة من المعايير المهنية وطلبنا منهم تحديد تلك التي يجب أن تتوفرفي العمل الصحفي المتميز وذلك للوقوف على رأيهم في المبادئ التي تشكل مقياسا مهما لتقييم جودة المضامين الإعلامية.وقد استندنا على التعريفات التي قدمها المختصون عند اقتراحنا للمعايير التي شكلت محور دراستنا *(انظر ص 10من الدراسة)* يبين الجدول التالي أن معيارا وحيدا أجمع كل المستجوبين على أنه مهم جدا وهو قيمة المضامين والمقصود هنا كل ما هو مرتبط بالتثبت من المعلومة والمجهود الاستقصائي الذي يبذله الصحفي في البحث واستقاء المعلومة. أما المعيار الثاني الذي اعتبره المستجوبون مهما جدا هو الموضوعية والصدق بنسبة 90 بالمائة في حين اكتفى 10 بالمائة من أفراد العينة على اعتباره مهم. وتساوت المعايير المتعلقة بالعمق ونوعية الكتابة وأهمية الموضوع في تقييم الصحفيين حيث اعتبرها 80 بالمائة من المستجوبين مهمة جدا ومهمة بنسبة 20 بالمائة. في حين اعتبر نصف المستجوبين أن المقياس المتعلق بالتركيز على قيمة الجدة والسبق الصحفي مهما جدا واكتفى 20 بالمائة على اعتباره مهم ورأى 30 بالمائة من الصحفيين أنه مهم قليلا. نستنتج هنا أن العينة تفاعلت مع كل المعايير التي وقع اقتراحها وأضافت مبادئ أخرى سنطرق إليها لاحقا.

المعايير	غير مهم	مهم قليلا	مهم	مهم جدا	المجموع
1-قيمة المضامين (في علاقتها بالتثبت من المعلومة والمجهود الاستقصائي الذي يبذله الصحفي..)				100	100
2-الموضوعية والصدق			10	90	100

3-نوعية الكتابة (الأسلوب، اللغة، البناء، المنهجية، احترام الشكل الصحفي، الدقة ..)			20	80	100
4-أهمية الموضوع (في علاقته بالقيم الخبرية واهتمام الجمهور ومصلحته ..)			20	80	100
5-العمق في تناول المواضيع (الإلمام بمختلف زوايا الموضوع وتوضيحها وتفسيرها ..)			20	70	100
6-التركيز على قيمة الجدة والسبق الصحفي		30	20	50	100

الجدول **رقم 1 : ترتيب معايير الجودة حسب أهميتها**

2-1- المعايير المفضلة حسب عينة الدراسة

وبما أننا استندنا على المعايير العلمية المتعارف عليها في مجال الإعلام في الاقتراحات التي قدمناها في الاستمارة، فكان من المتوقع أن يعتبرها الصحفيون مهمة وأن تتساوى درجة أهميتها، لهذا طلبنا منهم في مرحلة ثانية ترتيب الثلاثة مقاييس الأكثر أهمية وفي مرحلة ثالثة اقتراح معايير أخرى لا توجد بالشبكة للوقوف على طبيعة ممارساتهم وطبيعة نظرتهم لمسألة الجودة. فبدا واضحا، من خلال إحصائيات الجدول الموالي، تخوف الصحفيين من مسألة التسرع في نشر الأخبار سعيا لتحقيق السبق الصحفي لما يمكن أن يكون له من تأثيرات على قيمة المضامين المقدمة من ذلك السقوط في فخ نشر الأخبار المغلوطة أو الكاذبة أو غير الدقيقة دون التثبت من صحتها لأن ذلك قد يتطلب في بعض الأحيان وقتا طويلا يكلف وسيلة الإعلام خسارة السبق الصحفي. وفي المقابل وقع التركيز على أهمية مسألة قيمة المضامين التي ينتجها الصحفيوقد يعود هذا للتقييم الذاتي الذي يمكن أن يكون الصحفي قد أخذه بعين الاعتبار عند إجابته على أسئلة الاستمارة.في سؤالنا على الثلاثة معايير المفضلة لدى الصحفي أي تلك التي يعتبرها أكثر أهمية في تحديد قيمة جودة المضامين، حافظ المستجوبون على الاختيارات نفسها.

المتغيرات	التكرار	%
1-قيمة المضامين (في علاقتها بالتثبت من المعلومة والمجهود الاستقصائي الذي يبذله	21	18

الصحفي..)		
2-الموضوعية والصدق	19	16
3-نوعية الكتابة	18	15
4-أهمية الموضوع	17	14
5-العمق في تناول المواضيع	17	14
6-التركيز على قيمة الجدة والسبق الصحفي	16	13
7-معايير أخرى	11	10
المجموع	119	100

الجدول رقم 2 : **ترتيب المعايير المفضلة حسب عينة الدراسة**

نستنتج أن اهتمام الصحفيين ينصب أساسا على قيمة المضامين والموضوعية فالصدق ثم نوعية الكتابة. كما نلاحظ أن كل المقاييس المقترحة تحصلت على معدلات مهمة بما أن جميعها تمثل مبادئ العمل الصحفي المتعارف عليها في الممارسة المهنية لهذا طلبنا من المستجوبين اختيار المعايير الثلاثة الأكثر احتراما في وسائل الإعلام التونسية.

3-1- المعايير الأكثر احتياجا اليوم حسب عينة الدراسة

نهدف من وراء طرحنا لهذا السؤال إلى التعرف على نظرة الصحفيين لتطور مفهوم الجودة في علاقته بالممارسة المهنية لوسائل الإعلام التونسية وبالتالي تقييمهم لعمل وسائل الإعلام والمضامين التي تبثها في السنوات الأخيرة. أجمع المستجوبون على أن المعايير التي تحدد جودة العمل الصحفي لم تتغير في السنوات الأخيرة لكنهم اعتبروا أن البعض منها أصبح يكتسي أكثر أهمية من السابق نظرا للسياقات التي يمر بها قطاع الإعلام في تونس.

نلاحظ، حسب ما يبينه الجدول التالي، أن المقياس الرئيسي الذي لقي إجماعا من عينة الدراسة هو الموضوعية والصدق في نقل الوقائع حيث تعتبر أن مرحلة الانفتاح التي تمر بها البلاد تقتضي من الصحفي أكثر من أي وقت مضى أن يلتزم بهذا المبدأ استجابة لتطلعات الجمهور واحتراما للمسؤولية الاجتماعية. كما ذكر بعض المستجوبين أنهم أصبحوا يعطون أكثر أهمية لمقياس قيمة المواضيع من حيث الأهمية وارتباطها بالفائدة العامة نظرا

للمنافسة التي تلقاها وسائل الإعلام من شبكات التواصل الاجتماعي التي يعتبرونها منافسا شرسا في شد الجمهور من خلال القضايا التي يتم طرحها للنقاش في الفضاء الافتراضي. قيمة هذه المعايير زادت في السنوات الأخيرة حسب رأي أغلب المستجوبين ويمكن تفسير

ذك بالسياقات التي يمر قطاع الإعلام في تونس في السنوات الأخيرة : الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وكذلك النظام الإعلامي الانتقالي.

كما تحدث بعض المستجوبين عن تخوفهم من إفراط بعض وسائل الإعلام في سعيها لتحقيق السبق الصحفي دون التثبت من المعلومة قبل بثها الشيء الذي أدى إلى تفاقم الأخطاء المهنية المتعلقة بنشر الأخبار الكاذبة أو غير المؤكدة محذرين من انعكاسات هذه الممارسات على دور وسائل الإعلام الاجتماعي ومسؤوليتها الأخلاقية والاجتماعية تجاه الجمهور.

المتغيرات	التكرار	%
1-الموضوعية والصدق	30	21
2-أهمية الموضوع	25	18
3-العمق في تناول المواضيع	25	18
4-قيمة المضامين(في علاقتها بالتثبت من المعلومة والمجهود الاستقصائي الذي يبذله الصحفي..)	25	18
5-نوعية الكتابة	20	14
6-التركيز على قيمة الجدة والسبق الصحفي	15	11
المجموع	140	100

جدول رقم 3 : **المعايير الأكثر احتياجا اليوم حسب عينة الدراسة**

4-1-مقاربة الصحفيين لتغير مفهوم جودة العمل الصحفي

سعينا من خلال التطرق لتغير مفهوم الجودة في العمل الصحفي إلى معرفة تصور الصحفيين لهذا المفهوم ومدى ارتباطه بالسياقات والتغيرات التي طرأت على المهنة في السنوات الأخيرة.

لقياس تطور مفهوم الجودة طرحنا على المستجوبين السؤال التالي : هل تعتبر أن المعايير التي تحدد جودة العمل الصحفي تغيرت في السنوات الأخيرة ؟ في الإجابة على هذا السؤال، انظر الجدول الذي يلي، اعتبر أغلب الصحفيين المستجوبين أن المعايير التي تحدد جودة العمل الصحفي تغيرت في السنوات الأخيرة وذلك نتيجة التغيرات السياسية حيث سمحت الحرية التي أصبح يتمتع بها الصحفي أثناء أداء مهامه بالتركيز أكثر على المصلحة العامة إضافة إلى مراقبة السلطة. كما لعبت التكنولوجيا الحديثة للاتصال دورا مهما في تغيير مفهومهم لهذه المعايير حيث ترى عينة البحث أنها فرضت على وسائل الإعلام التقليدية ضرورة التركيز على قيمة الجدة في مضامينها وذلك للحد من منافسة مواقع التواصل الاجتماعي لها من خلال سرعة نقل المعلومة وتداولها. وبالإضافة إلى ذلك يرى أغلب المستجوبين أن المعايير تتغير وتتطور لأنها مرتبطة بطبيعة استخدامات الجمهور وهو ما يضع وسائل الإعلام اليوم أمام حتمية التأقلم مع هذه التطورات التكنولوجية وما أفرزته من استخدامات وأساليب إنتاج حديثة ووسائط متعددة.

نعم	لا	لا أعرف
80	20	0

الجدول رقم 4: **تغير مفهوم الجودة حسب عينة الدراسة**

2- المحور الثاني: العوامل المؤثرة على جودة العمل الصحفي

إنتاج المضامين الإعلامية المهمة والقيّمة وذات الجودة لا يقتصر على عمل الصحفي بل هو نتاج لعدة عوامل أخرى. حيث يعتبر الباحث الكندي سورماني (Sormany)[1]أنعلى الصحفي التعامل مع عدة ضغوطات أخرى يمكن اعتبارها من متطلبات المهنة مثل الوقت والمساحة والميزانية. كما طرح بعض الباحثين مسألة ظروف إنجاز العمل الصحفي التيفترض أن تهيئها وسيلة الإعلام للصحفي خلال ممارسته المهنية والتي يمكن اعتبارها ضرورية ومؤثرة على جودة المضامين الإعلامية. في حين ترى الباحثة ماري

[1]P.Sormany, Le métier du journaliste. Montréal :Boreal, 2011, p 87

جنغراس(Gingras)[1] أن الصحفيين يعتبرون أن مهنتهم تتطلب هامشا كبيرا من الحرية حتى يكون الصحفي حرا في تفكيره وفي كتابته لكنهم يتغافلون عن نقطة مهمة جدا أنهم ينتمون إلى هياكل ومؤسسات إعلامية لها نظام عمل وبالتالي عليهم الالتزام بسياستها وتوجهها وخطها التحريري.

2-1- العوامل المؤثرة سلبا على جودة العمل الصحفي

حتى نكون قادرين على حصر مختلف العوامل المؤثرة في جودة المضامين الإعلامية اقترحنا على المستجوبين قائمة بمجموعة عوامل مستوحاة من بعض الدراسات التي تناولت الإشكاليات الحالية للإعلام التونسي وطلبنا منهم ترتيبها حسب قوة تأثيرها مع فسح المجال أمامهم لاقتراح عوامل أخرى.

المتغيرات	التكرار	%
1- وضعية الصحفي (مادية، قانون أساسي، رتبة ..)	24	30
2- ظروف إنجاز العمل الصحفي	18	22.5
3- القوانين المسيرة للقطاع الإعلامي (تخوف من ملاحقات إعلامية..)	11	13.75
4-الجمهور(أي الانسياق وراء ما يعرف "بهذا ما يريده الجمهور" لتحقيق نسب مشاهدة عالية ..)	10	12.5
5-ضغوطات خارجية (سياسية، تجارية ..)	9	11.25
6-سياسة تحرير المؤسسة الإعلامية	5	6.25
عوامل أخرى(قلة المهنية والكفاءة باعتبار أن القطاع لم يكن مهيئا للثورة التي حدثت في تونس،غياب الإشراف على الصحفيين المبتدئين، سيطرة غير المهنيين على القطاع	3	3.75
المجموع	80	100

الجدول رقم 5: **العوامل المؤثرة سلبا في جودة العمل الصحفي حسب عينة الدراسة**

يبين الجدول الذي سبق العوامل المؤثرة سلبا على جودة المضامين الإعلامية مرتبة حسب مدى أهميتها. فقد ركز المستجوبون في إجاباتهم في مرحلة أولى على وضعيتهم ؛من وضعية مادية وقانونية إضافة إلى ظروف إنجاز العمل الصحفي ثم جاءت بقية العوامل

[1]A.M. Gingras, Médias et démocratie : le grand malentendu. Québec : Presses de l'Université du Québec, 2009, p25

متساوية الترتيب تقريبا. أجمعت إذن غالبية المستطلعين على اعتبار أن وضعية الصحفي من العوامل المؤثرة على المضامين التي ينتجها حيث اعتبرت أن غياب قانون أساسي في بعض وسائل الإعلام خاصة منها حديثة النشأة قد يحرم الصحفي من الحصول على البطاقة المهنية التي تسهل عليه التنقل وممارسة العمل الميداني. كما اعتبرت أن الرواتب التي يتحصل عليها الصحفيون العاملون بالقطاع الخاص متدنية جدا ولا تشكل حافزا على التفاني في العمل منبهة من إمكانية سقوط البعض في فخ المحاباة وتلقي مقابل مادي لإنجاز بعض المواضيع الصحفية نظرا لهذا الوضع الهش للصحفيين خاصة الشبان منهم.وانتقد بعض المستجوبين ظروف إنجاز العمل الصحفي التي يرون أنها تنعكس سلبا على قدرة الصحفيين على الإنتاج والتغطية الممتازة للوقائع وهذا يُطرح خاصة بالنسبة إلى بعض وسائل الإعلام الخاصة وبدرجة أقل وسائل الإعلام العمومي. كما تحدث المستجوبون عن مشاكل مرتبطة بالتجهيزات وعدم ملاءمتها لآخر التطورات التكنولوجية الشيء الذي يؤثر على جودة التصوير مثلا أو الاستثمار في الإنتاج المتعدد الوسائط نظرا لضعف الإمكانيات التي تضعها وسيلة الإعلام على ذمة الصحفي لممارسة مهنته.

ومن العوامل الأخرى التي أشار إليها بعض المستطلعين هي غياب الإشراف على الصحفيين الشبان أو المبتدئين ومرافقتهم في المراحل الأولى لما له من أهمية في تكوينهم وتأصيل ممارسة مهنية سليمة تجنبهم ارتكاب الأخطاء أو مساعدتهم على الإلمام بمقتضيات الممارسة الصحفية والعمل الميداني ومتطلباته. ويذكر أن هذه المسألة تعتبر من المواضيع التي طرحتها مرارا الهيئات المهنية والمسؤولين على التكوين وتسبب اختلافا في وجهات النظر حول جاهزية الصحفي المبتدأ أو حديث التخرج للعمل الصحفي. ولم يتغافل الصحفيون على طرح قضية سيطرة غير المهنيين على القطاع الإعلامي . حيث يتصدر المشهد الإعلامي التونسي عدة ناشطين ومدونين وغيرهم من الأسماء التي لم تتلق أي تكوين أكاديمي في مجال الإعلام. كما اعتبرت العينة أن قطاع الإعلام لم يكن مهيئا للحرية التي اكتسبها بعد انتفاضة 14 جانفي 2011 لهذا لم ينجح في ترجمتها على أرض الواقع وبالتالي لم تنعكس هذه الحرية على جودة المضامين الإعلامية.

2-2- علاقة أخلاقيات المهنة بجودة المضامين الإعلامية

حاولنا في هذا الإطار طرح العلاقة بين أخلاقيات المهنة وجودة المضامين الإعلامية أي البحث في هذه العلاقة الجدلية بينهما والمتغيرات المتداخلة بينهما. فقد اختلف الباحثون في مجال الإعلام حول دور مواثيق الشرف في المؤسسات الإعلامية وشككوا في مدى استقلاليتها إضافة إلى وجود بعض الاختلافات في تمثلات الصحفيين أنفسهم لهذه المواثيق. فهل يمكن اعتبارها كافية لتجعل من الصحفي أكثر التزاما بالأخلاق المهنية أم أن هناك سياقات أخرى يمكن أن تؤثر على الأخلاق المهنية. فما هي إذن تمثلات الصحفيين لهذه المواثيق ؟

نعم	لا	لا أعرف
100	0	0

جدول رقم 6 : **علاقة حرية الإعلام بالتزام الصحفي بالضوابط المهنية حسب عينة الدراسة**

في البداية، طرحنا السؤال التالي على المستجوبين : هل تعتبر أن حرية التعبير يمكن أن تجعل من الصحفي أكثر التزاما بضوابط العمل الصحفي ؟ أجمعت عينة البحث على اعتبار أن مبدأ حرية الصحافة قادر على جعل الصحفي أكثر التزاما بضوابط العمل الصحفي وأكثر احتراما لأخلاقيات المهنة وبالتالي يمكن القول هنا إن حرية الصحافة عامل أساسي أو متطلب أساسي للنهوض بجودة المضامين وهو ما دفعنا للتعمق أكثر في هذه النقطة فحرية الصحافة ليست مطلقة بل تقيدها القوانين المنظمة للقطاع وتترجمها مواثيق شرف المهنة.

نعم	لا	ليس بالضرورة	لا أعرف
80	0	20	0

جدول رقم 7 :**دور مواثيق شرف المهنة في التزام الصحفي بضوابط المهنة حسب عينة الدراسة**

في مرحلة ثانية أردنا قياس علاقة مواثيق الشرف بالتزام الصحفي بأخلاقيات المهنة فطرحنا السؤال التالي على عينة البحث : هل تعتبر أن تبني المؤسسات الإعلامية لمواثيق شرف يعني بالضرورة أن يكون الصحفي أكثر التزاما بالأخلاق المهنية ؟ رأت أغلبية المستطلعين أن مواثيق الشرف تجعل من الصحفي أكثر التزاما بأخلاقيات العمل الصحفي بنسبة 80٪

في حين رأى 20 ٪ من أفراد العينة أن وجود هذه المواثيق لا يعني بالضرورة احترام الصحفيين لأخلاقيات المهنة الصحفية. وبالتالي نفى جميع المستجوبين غياب دور مواثيق الشرف فعلى الرغم من محدوديتها حسب عدد قليل منهم إلا أنه لا يمكن أن نتغاضى على أهميتها في تأصيل مبادىء العمل الصحفي وأخلاقياته.

خاتمة

خلصت الدراسة إلى عدة نتائج أبرزها :

– اعتبار العينة أن المقاييس التي تحدد جودة المضامين الإعلامية لم تتغير لكن المرحلة التي تمر بها البلاد تقتضي من وسائل الإعلام تفضيل مقاييس عن أخرى والمتمثلة أساسا في الموضوعية والصدق وقيمة المضامين إلا أنه حسب أغلبية عينة الدراسة يعاب على وسائل الإعلام التونسية اليوم التوجه إلى التركيز على قيمة الجدة والسبق الصحفي الشيء الذي أسقطها مرارا في ارتكاب أخطاء مهنية ونشر أخبار زائفة أو غير مؤكدة محذرين من انعكاسات هذا على دورها الاجتماعي ومسؤوليتها الأخلاقية والاجتماعية تجاه الجمهور

– أجمعت غالبية عينة الدراسة على اعتبار وضعية الصحفي من العوامل المؤثرة سلبا على جودة المضامين التي ينتجها من غياب قانون أساسي وتدني الرواتب .. وفي هذا السياق نبه الباحث جمال الزرن (2013)[1]من خطورة الأزمة الهيكلية التي يعيشها قطاع الإعلام في تونس وذلك بحكم سياق التحولات العميقة التي يعيشها المجتمع التونسي سياسيا واقتصاديا. واعتبر أنه على الرغم من ذلك فإن الصحفي التونسي المحترف و "في خضم هذه الإرهاصات يحاول العودة إلى أصول المهنة وأساسياتها وذلك لاستمالة جمهور متعطش للمعلومة والخبر كان قد فقد وبعد سنوات من التضليل والدكتاتورية الثقة في أداء وسائل الإعلام وصحافييها"

– جاءت تمثلات الصحفيين للمواثيق الصحفية في أغلبها إيجابية حيث رأت غالبية المستطلعين أنها تجعل من الصحفي أكثر التزاما بأخلاقيات المهنة في حين اعتبرت نسبة قليلة منهم أن وجود هذه المواثيق لا يعني بالضرورة احترام الصحفيين لأخلاقيات المهنة الصحفية لكن على الرغم من محدوديتها إلا أنه لا يمكن أن نتغاضى على أهميتها في

[1] جمال الزرن، من أخلاقيات الصحافة إلى أخلاقيات الانترنت، (2013)https://www.academia.edu

تأصيل مبادىء ممارسة العمل الصحفي وأخلاقياته. كما أجمعت عينة الدراسة على اعتبار أن مبدأ حرية الصحافة عامل أساسي أو متطلب أساسي للنهوض بجودة المضامين.

خلصت الدراسة إذن إلى مقاربة ايجابية لدي الصحفيين حول مفهومهم لجودة المضامين الإعلامية في علاقتها بأخلاقيات المهنة الصحفية، فالالتزام بهذه الأخلاقيات يعد التزاما ضمنيا بالمسؤولية الاجتماعية الملقاة على عاتقهم ويعد أيضا من صميم العمل الإعلامي الهادف إلى المساهمة في بناء المجتمع وتطويره. لكن في المقابل، كشفت الدراسة عن صعوبات تعترض الصحفيين اعتبروا أنها تعيق أو تحول دون احترام المعايير المهنية في العمل الإعلامي. وتتمثل هذه الصعوبات أساسا في الوضع المادي للصحفيين الشبان. والملاحظ أن هذه الصعوبات المهنية هي جزء من وضع عام تعيشه العديد من وسائل الإعلام في عدة دول حيث أثبتت دراسة أجراها الباحثان (Watine et Beauchamp)[1] أن الصحفيين الفرنسيين وخاصة منهم الشبان يشعرون بعدم الرضا على الممارسات المهنية التي أصبحت رائجة اليوم في الإعلام الفرنسي والتي لا تحترم في جانب كبير منها أخلاقيات المهنة الصحفية إضافة إلى تراجع الوضع المادي للصحفيين وظروف العمل. كما توصلت الدراسة نفسها إلى وجود ضعف في مضامين وسائل الإعلام الفرنسية نتيجة التشابه الكبير فيما بينها وتخوف الصحفيين على مستقبلهم المهني بسبب تراجع ثقة الجمهور في الإعلام.

وفي هذا الإطار يرى الباحث الأمريكي تييري ميسان أن الصحافة تغيرت اليوم بشكل عميق خلال السنوات الأخيرة وأن المنطق التجاري طغى على الواجب الإعلامي. كما نبه من خطورة هذا الوضع على مستقبل الإعلام خاصة أن خرق ميثاق ميونيخ، الذي يحدد حقوق الصحفيين وواجباتهم، أصبح يتم بشكل يومي من قبل غالبية وسائل الإعلام دون أن يثير ذلك أدنى استنكار لدى الصحفيين المحترفين أو لدى الجمهور [2]. الملاحظ إذن أن هذه الصعوبات الأخلاقية التي يمر بها قطاع الإعلام في تونس هي جزء من وضع عام تعيشه

[1] Thierry Watine et Michel Beauchamp, La nouvelle responsabilité sociale des médias et des journalistes, http://www.cahiersdujournalisme.net/cdj/pdf/02/13_Watine_Beauchamp.pdf date de la visite mars 2017

[2] http://orhay.net/index.php?singlePage=NTM0 date de la visite septembre 2017

أغلب الدول. لكن في تصورنا، تبقى دراسة مسألة العوامل المؤثرة في جودة المضامين الصحفية تحتاج منا مزيد التعمق والبحث نظرا لتداخلها وتعقدها لأنها مهنة منفتحة على عدة تخصصات سياسية واقتصادية وثقافية إضافة إلى تداخلها مع تكنولوجيات الإعلام والاتصال ومسائل مرتبطة بالتمويل والملكية ... كما أن إنتاج المضامين الإعلامية لا يقتصر على الصحفي إذ يمر عبر سلسلة من المراحل المتداخلة من فنيين ومصورين ومهندسي صوت وصورة وإعلامية ومصممين.. وتتداخل ضمن هذه السلسلة التي تمر عبرها الرسالة الإعلامية البوابات وفق نظرية حارس البوابة قبل أن تصل إلى الجمهور. كل هذه العوامل تشكل ضغوطات وتحديات أمام الصحفيين لا يمكن تجاهلها وهو ما يطرح بعض الإشكاليات والتساؤلات في مسألة دراسة جودة المضامين. فهل يحق لنا أن نقيم جودة المضامين الصحفية فمعزل عن هذه العوامل وهذه السياقات خاصة أن دراسات سوسيولوجيا العمل الصحفي اتجهت في السنوات الأخيرة نحو البحث في القيود التي تضعها المؤسسات الإعلامية على الصحفيين ؟

قائمة المصادر والمراجع

المصادر باللغة العربية

1-بخيت (السيد)، الجديد في بحوث الصحافة مدارس غربية وإسهامات عربية، العين، الإمارات العربية المتحدة : دار الكتاب الجامعي، 2014

2-بخيت (السيد)، أخلاقيات العمل الصحفي، العين، الإمارات العربية المتحدة : دار الكتاب الجامعي، طبعة أولى، 2011

3-حسام الدين (محمد)، المسؤولية الاجتماعية للصحافة، القاهرة : الدار اللبنانية المصرية، 2003

4-الحيدري (عبد الله الزين)، الإعلام الجديد : النظام والفوضى (2010) https://www.academia.edu

5-الحيدري (عبد الله الزين)، الفضاء العمومي الجديد للسلطة الخامسة (2014) : (المجلة العربية للإعلام والاتصال، العدد الثاني عشر)، ص 115.

6-الحمامي (الصادق)، الميديا الجديدة : الإبستيمولوجيا والإشكاليات والسياقات، جامعة منوبة، المنشورات الجامعية بمنوبة (سلسلة البحوث الجامعية)، الطبعة الأولى 2012، 321 صفحة

7-الرمحين (عطا الله)، أخلاق الصحفي المهنية، عمان : مؤسسة الرواق للنشر والتوزيع، طبعة أولى ، 2012

8-الزرن (جمال)، من جمعية إلى نقابة : أخلاقيات المهنة الصحفية في تونس، (ملتقى الدولي : أخلاقيات الممارسة الصحفية في عالم عربي متحول: تونس 23-24 أفريل 2009) جامعة منوبة، معهد الصحافة وعلوم الإخبار، تونس

9-الزرن (جمال)، من أخلاقيات الصحافة إلى أخلاقيات الانترنت، https://www.academia.edu(2013)

10-غازي (خالد محمد)، الصحافة الإلكترونية العربية الالتزام والانفلات فى الخطاب والطرح ، القاهرة : دار الكتب المصرية، 2016، 587 صفحة

11- قيراط (محمد)، قضايا إعلامية معاصرة، الكويت : دار الفلاح،2006

13-المشاقبة (بسام عبد الرحمان)، أخلاقيات العمل الإعلامي، دار أسامة، 2012

المراجع باللغات الأجنبية :

1. -BOGART (Léo), Reflections on content quality in newspapers : Newspaper Research Journal. Vol. 25, no 1, 2004
2. Bourdieu (Pierre), Science de la science et réflexivité, Paris : éditions Raisons d'agir, 2001
3. Dubois (Judith), Bouleversements médiatiques et qualité de l'information : enquêtes auprès de 121 professionnels de l'information québécois. Etudes de communication publique, 20, Québec, Département d'information et de communication, université Laval, 2016
4. Dubois (Judith), Un impact certain sur la qualité de l'informationhttps://www.fpjq.org/impact-certain-qualite-de-linformation/ date de la visite juin 2017
5. Kovach (B.) et Rosentiel (T.), The elements of Journalism : what newspapers should know and the public should expect. New York : Three Rivers Press, 2001
6. Neveu (Eric), Sociologie du journalisme, La Découverte, Paris, 2004
7. Sormany (P.), Le métier du journaliste. Montréal : Boréal, 2011
8. Wolton (Dominique), Internet et après, Une théorie critique des nouveaux médias, Paris : Flammarion, 2010
9. Gingras, A.M, Médias et démocratie : le grand malentendu. Québec : Presses de l'Université du Québec, 2009
10.Watine, (Thierry), Beauchamp (Michel), M, La nouvelle responsabilité sociale des médias et des journalistes, http://www.cahiersdujournalisme.net/cdj/pdf/02/13_Watine_Beauchamp.pdf date de la visite mars 2017
11.http://orhay.net/index.php?singlePage=NTM0 date de la visite septembre 2017